موقف المسلم عند فتنة الخوف

أعده/ أبو عاصم البركاتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن الإسلام أولى قضية الأمن برعاية خاصة ، وأوجبه على الأفراد والمجتمعات، والأمن من أجل نعم الله تعالى بأشكاله المتنوعة كالأمن الفكري أو الاجتماعي أو الغذائي ونحوه، ونعنى في هذه المقالة بالأمن الاجتماعي ، فقد امتن الله عز وجل على قريش بنعمة الأمن من الجوع والأمن من الخوف فقال تعالى: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾ (سورة قريش: ١ -٤). وأخرج البخاري في الأدب المفرد برقم(٣٠٠) والترمذي(٢٣٤٦) وابن ماجه (٣٠٠) عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : « **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِى سِرْبِهِ مُعَافًى فِى جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا** ».

كما امتن الله تعالى على أهل سبأ بنعمة الأمن فقال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ . فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾(سبأ: ١٨ -١٩).

فاستحقوا العذاب لما كفروا بنعمة الله وآثروا الخوف على الأمن والمشقة على الراحة.

والخوف قد يكون ابتلاء وامتحان من الله كما ذكر في كتابه الكريم:

{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } (البقرة:١٥٥).

وقد يكون الخوف نوع عقوبة من الله تبارك وتعالى- على معاصي ارتكبها الإنسان، قال تعالى: **{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }** (النحل:١١٢).

أنواع الخوف وأقسامه:

الخوف أمر طبيعي بل وفطري جبلي في الإنسان وليس يستثنى منه أحد حتى الأنبياء، فهذا موسى عليه السلام يبدي خوفه من فرعون فخاف على نفسه عندما كلفه ربه بمواجهته **{قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ}** (القصص:٣٣)، وخاف من فشل مهمته بالتكذيب والعناد، **{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ}** (الشعراء:١٢)، ولأن الخوف أمر فطرى جبلى شرعت صلاة الخوف.

...والخوف منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم، فالخوف من الله وعقابه، والخوف من الوقوع في المعاصي والمحرقات والخوف من ظلم العباد والتعدى على حقوقهم هو من الخوف المحمود بل والمطلوب من كل مسلم ومسلمة ولقد

امتدح الله نبيه زكريا وأهله حيث قال: { **وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** } (الأنبياء:٩٠).

والخوف المذموم: هو الذي يوقع الإنسان في مخافة الناس على حساب مرضاة الله وهو الذي يدفع بالإنسان إلي الانهزام والتخلي عن المعتقد أو الحقوق، ويفسح المجال أمام العدو وليعيث في الأرض الفساد { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**} (لأنفال:١٦). انتهى من" الخوف من العدو وأثره ص ٤" للدكتور جابر زايد.

التحذير من الفتن:

قال الله - تعالى - : {**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**} وقال سبحانه: {**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يعملون**}.

وروى أبو داود وصححه الألباني عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ قَالَ: ايْمُ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: « **إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ وَلَمَنِ ابْتُلِىَ فَصَبَرَ فَوَاهًا** ».

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " الأهواء في الديانات - أي : في الدين - أعظم منها في الشهوات".

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم : « **إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان من قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**».

وحذر الله تعالى من اتباع المتشابهات ابتغاء الفتنة؛ فقال تعالى : **{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ }** (آل عمران:٧).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " **ولا يعدل أحد عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية إلا لجهلٍ أو عجز أو غرض فاسد** ".

وثبت عن حديث حذيفة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " **لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه** " .قالوا : وكيف يذل نفسه يا رسول الله ؟ قال : " **يتحمل من البلاء مالا يطيق** " .

وقد ثبت في " الصحيحين " من حديث عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض مغازيه التي لقى فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس خطيباً وقال : " **يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموه فاصبروا** " .

وأخرج أبو داود وصححه الألباني عن أَبِي مُوسَى يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- :« **إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا وَيُمْسِى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِى وَالْمَاشِى فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِى** ». قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: « **كُونُوا أَحْلاَسَ بُيُوتِكُمْ** ».

وأخرج مسلم وأحمد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ :« **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا أَوْ يُمْسِى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا** ».

الزجر والتحذير لمن روع الناس وأذهب أمنهم

بإلقاء نظرة على نصوص الكتاب والسنة يجد أنه من أخص أوصاف المسلم أن يكون مسالمًا لمن حوله ، فقد أخرج البخاري برقم (٦٤٨٤) ومسلم برقم (٤٠) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما عن رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ** ».

وأخرج البخاري برقم(٣١٨٨) ومسلم برقم (١٧٣٥) واللفظ له عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- :« **إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ** ».

والله تعالى يقول: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ**﴾(البقرة:٨٤).

وحتى ترويع الناس الذي هو دون القتل والقتال محرم للحديث الذي أخرجه أحمد(٢٣٠٦٤) وأبو داود(٥٠٠٤) وفيه يقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**».

قال المناوي في فيض القدير(٦/ ٤٤٧): " لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً ، وإن كان هازلاً ، كإشارة بسيف ، أو حديدة أو أفعى أو أخذ متاعه فيفزع لفقده ، لما فيه من إدخال الأذى والضرر عليه، الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" اهـــ.

وأخرج البخاري (٧٠٧٢) ومسلم(٢٦١٧) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « **لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِى يَدِهِ فَيَقَعُ فِى حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ** ».

وأخرج البخاري(٦٨٦٢) وأحمد (٥٦٨١) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**».

والله تعالى يقول: ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾(النساء: ٩٣).

وأخرج البخاري (٦٧٨٥) ومسلم(١٦٧٩) قوله صلى الله عليه وسلم: « **فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا**».

تحريم الخروج على أولي الأمر من المسلمين

وهذا حق الحاكم وولي الأمر ، لقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ (النساء:٥٩).

والسمع والطاعة بمعنى الانقياد والإذعان ، ولذلك جاء السمع مع الطاعة في كتاب الله، فقال سبحانه: ﴿ **وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** ﴾ (البقرة:٢٨٥).

وأخرج البخاري(٧٠٥٥) عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ قُلْنَا : « **أَصْلَحَكَ اللَّهُ حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ فَقَالَ: فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا**

وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ».

وأخرج أحمد (١٧١٤٤) وأبو داود(٤٦٠٧) وابن ماجه(٤٢)والترمذي(٢٦٧٦) عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ قُلْنَا أَوْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا قَالَ: « **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».**

وأخرج البخاري(٧١٤٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ».**

وليس هذا ذما للجنس الحبشي أو للون الأسود، فإن المسلمين تتكافأ دماؤهم وألوانهم ، والله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحجرات:١٣).

والمعنى أنه لو استقر الأمر لأضعف الناس فله حق السمع والطاعة ، لما في ذلك من مصلحة اجتماع المسلمين وحفظ الدين وصيانة حوزة الأمة والملة.

الخروج على الحاكم من أكبر الكبائر .

وهذا هو ما عليه أهل السنة ، ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع والأهواء كالمعتزلة والخوارج ومن لف لفهم ، ودار في فلكهم من أصحاب التكفير والتفجير ، وإنما من حق الحاكم السمع والطاعة والنصيحة لقوله صلى الله عليه

وسلم « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ -ثلاثًا-، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** » أخرجه مسلم(٥٥) وأحمد(١٦٩٤٠) .

وأخرج مسلم(١٨٤٨) وأحمد(٧٩٤٤) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ :« **مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِى لِذِى عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَلَسْتُ مِنْهُ** ».

وأخرج البخاري برقم(٦٨٧٤) ومسلم برقم (٩٨) أيضاً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :« **مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا**».

وأخرج البخاري(٧٠٥٣)(٧٠٥٤)(٧١٤٣) ومسلم(١٨٤٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

وأخرج مسلم(١٨٥١) عن زيد بن محمد عن نافع قال : جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقوله سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول « **من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية** » .

وأخرج مسلم (١٨٥٠) عن جندب بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :« **من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلة جاهلية** » .

ومعنى عمية: قالوا هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور قال إسحاق بن رهويه هذا كتقاتل القوم للعصبية.

وأخرج مسلم (١٨٥٢) عن عرفجة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :« **من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه** ».

وأخرج مسلم (١٨٥٣) عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :« **إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**».

وأخرج البخاري برقم(٧١٤٤) ومسلم برقم (١٨٣٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :« **السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ** بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ».

الأمن لغير المسلمين في ظل الإسلام

بل إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو للأمن حتى في الجهاد في سبيل الله وقتال أقوام ليسوا على الإسلام فقد أخرج مسلم (١٧٣١) وأحمد(٢٣٠٣٠) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا** ».

وأخرج أحمد(٩٩١) وأبو داود(٤٥٣٠) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ أَلَا لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ**».

القضاء على الأسباب المفضية للخوف والذعر

أوجب الله تعالى التثبت من الأخبار حتى لا يشيع الخوف أو يقوم قتال ويحصل فساد بسبب خبر كاذب فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (الحجرات: ٦). وفرض على المسلمين السعي بالصلح بين المتقاتلين فقال تعالى: ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾(الحجرات: ٩-١٠).

كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب الفتنة كالظن السيء والحسد والتحسس والتجسس والمنافسة والتكالب على الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم : « **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَنَافَسُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا** »أخرجه البخاري(٦٠٦٤) ومسلم(٢٥٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كما أن تقوى الله من الآباء سبب للأمن للأبناء لقوله تعالى : ﴿**وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواّ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً**﴾ **(النساء: ٩)**.

كما أن المسلم مطالب عند الخوف أو الذعر ألا يفشيه ؛ وأن يرد الأمر لألي الأمر لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾(النساء:٨٣).

موانع الفتن

أولاً : لزوم كتاب الله سبحانه ، وسنة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - والسير على نهج السلف الصالح - رحمهم الله . قال - عزّ وجل - : **{واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا}**

يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - الصحيح المشهور : " **فإنه من يعش منكم فيسرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**" .

وفي الحديث الآخر : " **يا أيها الناس : إني قد تركت فيكم ، ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا ، كتاب الله وسنتي** ".

ومن ذلك أن يميز أهل السنة من أهل البدعة ، فيأخذ المسلم من أهل السنة ويدع أهل البدعة ، لذلك قال محمد بن سرين - رحمه الله :

" كانوا لا يسألون عن الإسناد ، فلما حدثت الفتنة سألوا عنه ، فأخذوا عن أهل السنة وتركوا أهل البدعة "

ثانياً : الاستكانة والتضرع إلى الله عند ذهاب الأمن : وكان الحسن البصري يقول : " إن الحَجّاج عذاب الله ، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم

، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع ، فإن الله تعالى يقول : **{وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ}** (المؤمنون : ٧٦) .

وكان طلق بن حبيب يقول : " اتقوا الفتنة بالتقوى ، فقيل له : أجمل لنا التقوى . فقال : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله " رواه أحمد وابن أبي الدنيا .

وقال تعالى : **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }**(النور:٥٥).ويقول الله تعالي: **{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }** (آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥).

ثالثاً رد الأمر إلى أهله:

قال تعالى : **{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلاً }**(النساء: ٨٣).

رابعاً : الصبر: قال تعالى : **{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }** (الأعراف: ١٢٨-١٢٩).

وقال سبحانه:{ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** }(البقرة:١٥٢).

وقد قال تعالى لموسى وهارون : { **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** } (طه :٢٢).

ثم إذا أمر أو نهى فلا بد - عادة - أن يُؤذي ، فعليه أن يصبر ويحلم كما قال تعالى : { **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاة وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمور** } (لقمان: ١٧).

خامساً: الدعاء.

فالدعاء سلاح المؤمن ؛ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : **"ليس شيء أكرم على الله من الدعاء"** ؛ بل إن الله سبحانه توعد الذين يستكبرون عن الدعاء ويتركونه بالعذاب الأليم يوم القيامة، قال سبحانه: **"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين".**

وقال صلى الله عليه وسلم **"من لم يسأل الله يغضب عليه."**

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : **" أسعد الناس في الفتن كل خفي تقيّ، إن ظهر لم يعرف ، وإن غاب ، لم يفقد ، وأشقى الناس فيها كل خطيب مِصْقَع (هو : البليغ الماهر) أو راكب مُوضِع (المسرع فيها) ، لا يخلص من شرها ، إلا من أخلص الدعاء كدعاء الغَرِق في البحر"** رواه نعيم بن حمّاد في " الفتن" .

وعن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه أنه قال : **" تكون فتنة لا ينجي منها إلا دعاء كدعاء الغَرِق"** رواه ابن أبي شيبة.

وعن حذيفة رضي الله عنه : أنه قال : " **يأتي عليكم زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغَرِق.** " رواه : ابن أبي شيبة ، والحاكم في المستدرك وقال " صحيح على شرط الشيخين.

" وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله كثيراً من الفتن كما في حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن** " رواه مسلم (٢٨٦٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فذكر الحديث وفيه قوله تعالى " يا محمد إذا صليت فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي ، وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون** " رواه الترمذي ٣٢٣٣ وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٠٨) : صحيح لغيره .

وكان النبي يتعوذ من الفتن لأنها إذا أتت لا تصيب الظالم وحده وإنما تصيب الجميع ..

ويحسن بنا التعرف على أحاديث الأذكار المتعلقة بالفتن والكروب للدعاء بها ونشرها وحفظ ما تيسر حفظه منها .. وإدراك معاينها للتعبد لله بذلك إذ هي أعظم ما يقال في هذه الأحوال :

١- حديث أَبِي بُرْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ "اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ" رواه أبو داود(١٥٣٧) وصححه الألباني في صحيح أبي داوود (١٣٦٠).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : **"لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم "** رواه البخاري ٦٣٤٥ ومسلم ٢٧٣٠.

٣- قال صلى الله عليه وسلم : **" كلمات الفرج لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم "** صحيح الجامع الصغير وزيادته (٤٥٧١) .

٤- كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا غزا قال : **" اللهم أنت عضدي وأنت نصيري وبك أقاتل "** رواه الترمذي ٣٥٨٤ وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٨٣٦

٥- وقال صلى الله عليه وسلم : **" ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا ففرج عنه ... دعاء ذي النون : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين "** وفي رواية " لم يدع بها رجل مسلم في شيءٍ قط إلا استجاب الله له " صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢٠٦٥) .

٦- وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم صحابته من الفزع كلمات : **" أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون "** رواه أبو داود (٣٨٩٣) وحسنه الألباني في صحيح أبي داوود (٣٢٩٤).

٧- قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ : **اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ "** رواه أبو داود ٥٠٩٠. وحسنه الألباني في صحيح أبي داوود ٤٢٤٦ .

٨- وكان إذا كربه أمر قال : " **يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث** " وفي رواية : " **إذا نزل به همٌّ أو غمٌّ**" صحيح الجامع الصغير ٤٧٩١

٩- وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأسماء بنت عميس : " **أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ أَوْ فِي الْكَرْبِ (أي المحنة والمشقة) اللَّهُ رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** " رواه أبو داود (١٥٢٥) وصححه الألباني في صحيح أبي داوود (١٣٤٩) وفي رواية في صحيح الجامع : " **من أصابه همٌّ أو غمٌّ أو سقمٌ أو شدَّة فقال : الله ربي لا شريك له كُشف ذلك عنه** " .

وغيرها من الأحاديث التي لها أثرها الإيجابي الكبير في أوقات الفتن والخوف ... من تهدئة للنفس وسلامة في البدن وقرب من الله عز وجل .. مع الاكتفاء بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه غنية عما لا يصح .. وفيه الخير .. والله أعلم . انتهى من مقال للشيخ محمد المنجد.

سادساً: الأخذ على أيدي مثيري الفزع والخوف.

وهذا واجب الحاكم المسلم الذي يسعى في مطالب ومصالح المسلمين؛ وقد شرع الله تعالى حد الحرابة لإقرار الأمن؛ فقال تعالى مبيناً حد الحرابة وهم الذين يقطعون الطريق ويخرجون على الناس بالسلاح : ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (المائدة: ٣٣).

جاء في فتح الباري(١٢ /١١٠): ذهب جمهور الفقهاء إلى أنها نزلت فيمن خرج من المسلمين يسعى في الأرض بالفساد ويقطع الطريق وهو قول مالك والشافعي والكوفيين ا هـــ

القصاص أمن وحياة

ولا عجب في ذلك، فإن في قتل مجرم واحد حياة لأمة بأكملها ، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يأُولِي ٱلالْبَـــٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (البقرة:١٧٩).

وقديماً قيل: القتل أنفى للقتل.

فالحدود والتعزيرات والقصاص سبب ضروري لأمن المجتمع والأفراد ، ولهذا غضب النبي صلى الله عليه و سلم غضباً شديداً من أسامة بن زيد رضي الله عنهما حينما جاء يشفع في حد من حدود الله لا سيما بعد بلوغه للحاكم، وأكد على ذلك بقوله صلى الله عليه و سلم : «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**» أخرجه البخاري(٣٤٧٥) ومسلم(١٦٨٨).

فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم تضييع الحدود سبباً للهلاك والضياع.

هذا ما تيسر والله وحده من وراء القصد.

كتبه / أبو عاصم البركاتي المصري

الشحات شعبان محمود